(٣) القضية الفلسطينية دوليا

استمرت التطورات الناجمة عن قرارات الرئيس السادات بابعاد الخبراء والمستشارين السوفيات من مصر في السيطرة على الاجواء الدولية بالنسبة للنزاع العربي الاسرائيلي . وكان الاتجاه الاهم الذي سارت فيه هذه التطورات هو المزيد من التدهور في العلاقات المصرية السوفياتية . هذا بالرغم عن بعض التصريحات القليلة التي ارادت ان توحي بالعكس مثل قول محمد حسنين هيكل اثناء زيارته لالمانيا الغربية بان « سحب نحو ٢٠ الف عسكري سوفياتي، بطلب عاجل من القاهرة ، لم يؤثر على الصداقة المصرية ــ السوفياتية » . وتجلت اهم مظاهر هذا التدهور في الوقائع التالية:

١ ــ التطورات التي رافقت تلقي الرئيس السادات ، في الاسبوع الاول من شهر آب ، رسالة مهمة (على حد وصف اجهزة الاعلام المصرية) من الزعيم السوفياتي بريجينيف موضوعها العلاقات العربية السوفياتية . وجدير بالانتباه ان الرسالة جاءت بعد المشاورات التي اجرتها القيادة السوفياتية مع زعماء دول حلف فرصوفيا حول الوضع المستجد في الشرق الاوسط بعد قرارات الرئيس السادات ، وبعث الرسالة مع رئيس مجلس الشعب المصري الذي كان في زيارة للاتحاد السوفياتي بدلا من الطرق الدبلوماسية المعهودة . وتشير تطورات الاحداث الى ان الرسالة تضمنت رد القادة السوفيات على قرارات الرئيس السادات الاخيرة ورأيهم فيها . وعليه اعلنت الجهات المسؤولة بان الرسالة لاقت اهتماما كبيرا ودراسة عميقة في مصر . لكن يبدو ان القيادة في القاهرة لم تكن مسرورة من محتويات الرسالة اذ اعلن محمد حسن الزيات (طبعا ، قبل ان يصبح وزيرا للخارجية) في مؤتمر صحفي ان الدراسة المعمقة للرسالة لم تبين ، للاسف ، اية طرق جديدة مفتوحة كما انها لا تدعو مصر للقيام بأي عمل في الوقت الحاضر . وذكرت انباء صحفية موثوقة مصدرها القاهرة بان الرئيس السادات قال في جلسة مغلقة عقدها مجلس الشعب المصري بانه يهيء « ردا حادا » على الرسالة لانها لا تتضمن اية عناصر ايجابية ، ولانه يبدو ان الزعيم السوفياتي لم يفهم تماما السياسة التي تنوي مصر اتباعها حيال الاتحاد السوفياتي . كذلك ذكرت هذه الانباء ان الرئيس السادات قال في اجتماع لاحق لمجلس الشعب (١٧ آب ١٩٧٢) بانه رفض رسالة بريجنيف لان « لهجتها ومحتوياتها ونمطها غير مقبولة كليا » وكما اتهم الاتحاد السوفياتي بانه يريد اجبار مصر على الخضوع لاسرائيل بامتناعه عن تقديم الاسلحة الهجومية ، خاصة الطائرات ، وشدد على انه في ظل سريان مفعول الحظر الذي تفرضه الدول الاوروبية الغربية الصديقة على شحن السلاح الى المنطقة يكون الهدف في الخطوات السوفياتية هو « دفعنا الى شفير اليأس » والوصول «الى مرحلة ندفع فيها الى الاستسلام». وفي مقابلة صحفية مع مراسل راديو لوكسمبورغ (٢٠ آب ١٩٧٢) ذكر الرئيس السادات ان اخراج المستشارين والخبراء السوفيات من مصر ليس الا « تحذير دولي » وانه بانتظار رد من موسكو قبل القيام بخطوة ثانية .

٢ ــ تدني العلاقات الدبلوماسية بين مصر والاتحاد السوفياتي ، في كل هذه الفترة ، الى مستوى القائمين بالاعمال . اذ سافر السفير السوفياتي في مصر الى بلاده بعد اعلان السادات قراراته بفترة وجيزة ، كما استدعى الرئيس السادات السفير المصري في موسكو على أثر ورود رسالة بريجنيف . وترددت انباء صحافية مصدرها مراجع مطلعة في القاهرة بأن الرئيس السادات سيطلب سحب فينوغرادوف ــ السفير السوفياتي في مصر ــ لانه لم ينقل معلومات صحيحة من القاهرة الى موسكو وبالعكس ، ولانه غادر القاهرة بطريقة اعتبرت فظة . وجدير بالاشارة الى ان هذا ادنى مستوى وصلت اليه العلاقات الدبلوماسية بين البلدين منذ انشائها .

٣ ــ الانسحاب السوفياتي الكامل من كافة القواعد البحرية والجوية في مصر بعد خروج خبرائهم العسكريين . وذكرت الانباء الصحفية ان الرئيس السادات اعلن ، في اجتماع مجلس الشعب الاول الذي اشرنا اليه ، ان كل الوحدات البحرية السوفياتية قد انسحبت من موانيء مصر باستثناء سفينتين حربيتين قيد الاصلاح . ولا يستبعد المراقبون ان تعيد مصر النظر في سياسة تقديم التسهيلات البحرية للاسطول السوفياتي .